# المحافظة على البيئة ومقوماتها رؤية من منظور إسلامي

الحلقة ( ١ )

هند مهداوي
ماجستير علوم اقتصادية
المركز الجامعي لولاية عين تموشنت بالجزائر

لقد أولى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الإنسانَ قيمةً سامية؛ بل فضَّلَه على سائرِ مخلوقاته، فاستخلَفَه في الأرضِ ليعمُرَها ويَبنيها لا من أجلِ أن يُفسدَها ويُخرِّبُها قال تعالى : "**وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكَةِ إنِّي جاعلٌ في الأرْضِ خَليفةً قالُوا أتجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أعلَمُ ما لاَ تَعلَمُونَ**"( سورة البقرة: ٣٠ )، فسَخَّرَ له هذا الكونَ بكلِّ ما يَحويه من خيراتٍ على سطحِ الأرضِ وباطنِها، في الجوِّ وفي البحرِ من أجلِ حياةٍ كريمةٍ؛ فَهذه "البيئةُ أمانةٌ" وصلتْ من الخالقِ عزَّ وجلَّ نقيةً صافيةً؛ لتكونَ مَهمَّةُ البشرِ استغلالَها أحسنَ استغلالٍ، والحفاظَ عليها؛ لتبقى وعاءً مُسعداً للإنسان؛ حتّى يُحقِّقَ غاياتِه الخيِّرةَ التي خُلِقَ من أجلِها .

وقد كانَ الإسلامُ العظيمُ سبّاقاً فأكَّدَ على حمايةِ البيئةِ، والمحافَظةِ عليها وإنمائِها– قبلَ صُدُورِ التشريعاتِ والأنظمةِ الحديثةِ والاتفاقياتِ الدوليةِ للحفاظِ على البيئةِ– وقد شرعَ اللهُ تعالى في الكتابِ الكريمِ والسُّنَّةِ المطهَّرةِ التي جعلَها اللهُ لَنا شرعةً ومنهاجاً في شُؤونِ الحياةِ كافّةً– بما في ذلك البيئةُ–، **فكيف ينظرُ الإسلامُ إلى البيئة؟**

**وكيف يعملُ على حمايتِها– خُصوصاً في ظِلِّ ما تَفرضُه مظاهرُ العولَمةِ من جَشَعٍ واستغلالٍ مُفرطٍ للمواردِ الطبيعية–؟**

## مفهومُ البيئةِ لُغةً وشرعاً واصطلاحاً :

**البيئةُ لُغةً** : إنّ أصلَ كلمةِ البيئةِ مُشتقٌّ من نَسخِ مادَّةِ ( بوأ )[1] كما ذَكَرَ ابنُ منظورٍ في لسانِ العرب( ٣٦ / ١–٣٩ ) والإمامُ الرَّازيُّ في مختارِ الصّحاحِ، وغيرِه في معاجمِ اللغةِ المعتبَرةِ . قالتِ العربُ :باءَ إلى الشيءِ يَبوءُ بوْءاً : رَجَعَ، غيرُ مَهموزٍ . والباءةُ مِثل الباعةِ، والباءُ: النكاحُ . قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ : "مَنْ استَطاعَ مِنْكُمُ الباءةَ

[1]- السيد الجميلي، الإسلام والبيئة – دراسة علمية إسلامية طبية- القاهرة مركز الكتاب للنشر 1997 ط1 ص13.

فليَتزوَّجْ، ومَنْ لمْ يَستَطِعْ فَعلَيه بالصَّوم فإنَّهُ لَهُ وِجاءٌ" . قال الأصمعيُّ: باءَ بإثمه، فهُو يَبوءُ به بَوْءاً، إذا أقرَّ به، وفي الحديث الشريف: أبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عليَّ وأبوءُ بِذَنْبي؛ أيّ: ألتزِمُ وأُقِرُّ وأرجِعُ. والبَواءُ:السّواءُ. تقولُ:فُلانٌ بَواءُ فلانٍ:أيّ كفاؤُهُ إنْ قُتِلَ به؛ ويُقالُ: هُمْ بَواءٌ في هذا الأمرِ؛ أيّ: نُظراءُ أكْفاءُ. وتبوَّأ المكانَ: نَزَلَهُ، واتَّخَذَهُ مَنزِلاً ومَقاماً، وقيلَ: تَبوأهُ:أصلحَهُ وهَيَّأهُ. والمباءَةُ: مَعْطِنُ القومِ للإبلِ؛حيثُ تُناخُ في الموارد.

**البيئةُ اصطلاحاً**: أمّا المعنى الطبيعيُّ والجغرافيُّ؛ فهُو الذي يُشيرُ إليه الاسمُ الفرنسيُّ Environnement والذي استخدَمَه العالِم الفرنسيُّ "سانت هيلر St Heliere عام ١٨٣٥م يُقصَدُ به المحيطُ الذي تَعيشُ فيه الكائناتُ الحيَّةُ، مُبيِّناً تلك الرابطةَ القويَّةَ بين الكائناتِ الحيَّةِ والمحيطِ الذي تعيشُ فيه.

لِيُصبحَ مصطلحُ البيئةِ يعني: مجموعَ الظروفِ والمؤثِّراتِ الخارجيَّةِ المحيطةِ بالإنسانِ وغَيرِه مِن الكائناتِ الحيَّةِ على سطحِ الكرةِ الأرضيَّةِ التي تُؤثِّرُ فيه ويُؤثِّرُ فيها.

ثمَّ ظَهرَ علمُ البيئةِ المعاصرُ المسمَّى بالإيكولوجيا Ecology=[1]RecentEnvironmental Science المترجمة إلى اللغة العربية بعبارة "علمُ البيئة"[2] التي وضَعَها العالِمُ الألمانيُّ Ernest Haeckel عام ١٨٦٦ م، بعدَ دَمْجِ كَلِمَتينِ يُونانيتينَ هُما:Oikes ومَعناها: مَسكَنٌ ؛وLogos ومعناها: عِلْمٌ.

وقد صاغَ لها تعريفاً هو:" العلمُ الذي يَدرسُ علاقةَ الكائناتِ الحيّةِ بالوسطِ الذي تعيشُ فيه، ويهتمُّ هذا العلمُ بالكائناتِ الحيَّةِ وتغذيتِها، وطُرُقِ مَعيشتِها، ووُجودِها في مجتمعاتٍ، أو تجمُّعاتٍ سكنيّةٍ، أو شعوبٍ، كما يتضمَّنُ أيضاً دراسةَ العواملِ غيرِ الحيَّةِ؛ مثل: خصائصِ المناخِ( الحرارةِ، الرطوبةِ، الإشعاعاتِ، المياهِ...)؛ والخصائصِ الفيزيائيةِ والكيميائيةِ للأرضِ، والماءِ، والهواءِ.

ثمَّ جاءَ المؤتمرَ العالَميُّ للبيئةِ المنعقدِ بستوكهولم عاصمةِ السويد عام ١٩٧٢م ليعطي تعريفاً أوسعَ للبيئةِ؛ فهي كلُّ شيءٍ يُحيطُ بالإنسانِ؛ بحيث لم تَعُدْ مُجرَّدَ عناصرَ طبيعيةٍ( ماءٍ، وهواءٍ، وتُربةٍ، ومصادرَ للطاقةِ، وكائناتٍ حيَّةٍ)[3] على أنها:"رصيدُ الموارِدِ الاجتماعيةِ والماديَّةِ( الطبيعيةِ ) المتاحةِ في مكانٍ ما، ووقتٍ ما مِن أجلِ إشباعِ حاجياتِ الإنسانِ وتطلُّعاته[4]".

### ١.٣- مفهومُ البيئةِ في الإسلامِ:

إنّ الإسلامَ الحنيفَ قد سبقَ الأنظمةَ المعاصرةَ في تأكيدِه على المفهومِ الواسعِ للبيئةِ؛ بحيث يشملُ هذا المفهومُ الموارِدَ الاجتماعيةَ والموارِدَ الماديَّةَ المتاحةَ لإشباعِ حاجاتِ الإنسانِ؛ وعليه يُمكِنُ تعريفُ البيئةِ في الإسلامِ بأنّها:

---

[1]- السيد الجميلي، نفس المرجع السابق، ص14.

-[2]http://panorama-knowlege.yoo7.com/montada-f12/

-[3]http://membres.lycos.fr/asmapet/Def_environnement.htm

-[4]Amina Mohammad Nasîr - L'Islam et la protection de l'environnement ; http://www.isesco.org.ma/francais/publications/Islamtoday/13/P5.php#

الإطارُ الطبيعيُّ والاجتماعيُّ الذي يعيشُ فيه الإنسانُ، ويحصلُ فيه على مُقوِّماتِ حياتِه مِن (غذاءٍ، وكِساءٍ، ودواءٍ، ومأوىً) ويُمارِسُ فيه علاقاته مع أقرانه من بَني البَشرِ[1].

**البيئةُ في القُرآنِ الكريمِ: لقد** وردَتْ اشتقاقاتُ كلمةِ "البيئة" في القرآنِ الكريمِ في عِدَّةِ سُوَرٍ كريمة؛ ففي سُورةِ الأعراف الآية ٧٤: "**واذْكُروا إذْ جعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ عادٍ وبَوَّأَكُمْ في الأرْضِ تتَّخذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وتَنْحتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً فاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ ولَا تَعْثَوا في الأرْضِ مُفْسِدِينَ**" ؛ وفي سُورةِ يُونُسَ الآية ٨٧ "**وأَوْحَينا إلى مُوسَى وأَخِيهِ أنْ تَبوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**" ثُمّ الآية ٩٣ من السُّورةِ نفْسِها "**ولَقَدْ بَوَّأنَا بَني إسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ورَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فَما اخْتَلَفُوا حتّى جاءَهُمُ العِلْمُ إنّ رَبَّكَ يَقْضِي بَينَهُمْ يَومَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**".

فالتعريفُ الإسلاميُّ للبيئةِ الذي يُمكِنُ استنباطُه مِن القرآنِ الكريمِ: "كُلُّ ما يُحيطُ بالإنسانِ مِن (أرضٍ، وماءٍ، وهواءٍ، ومبانٍ، وحدائقَ،وغاباتٍ)، وما يعيشُ عليها من حيوانٍ، وزُروعٍ، وأشجارٍ"[2].

**علاقةُ علْمِ الاقتصادِ بالبيئةِ في الفكْرِ الوضعيِّ والشَّرعيِّ:**

**اقتصادُ البيئةِ في الفكْرِ الوضعيِّ:**

علْمُ الاقتصادِ: هو العلمُ الذي يَبحثُ في الاستخدامِ الأمثلِ للمواردِ المادِّيَّةِ والبشريةِ؛ بهَدَفِ تحقيقِ أكبرِ ربحٍ مُمكِنٍ، أو إشباعِ الحاجاتِ الإنسانيةِ بأقلِّ تكلفةٍ مُمكِنةٍ.

علْمُ البيئةِ: هو العلمُ الذي يَدرسُ الظروفَ والمؤثِّراتِ الخارجيةَ المحيطةَ بالإنسانِ وغَيرِه مِن الكائناتِ الحيَّةِ على سطحِ الكُرةِ الأرضيةِ التي تُؤثِّرُ فيه، ويُؤثِّرُ فيها.

**وعليه فإنّ العلاقةَ بينَ الاقتصادِ والبيئةِ تتمثَّلُ في تسخيرِ علمِ الاقتصادِ بُغيةَ الاستخدامِ الأمثلِ للمواردِ البيئيةِ بأبعادِها كافّةً بُغيةَ تعظيمِ الرِّبحِ وإشباعِ الحاجاتِ الإنسانيةِ بأقلِّ تكلفةٍ؛ فالبيئةُ تُقدِّمُ للاقتصادِ الموارِدَ الطبيعيَّةَ التي تتحوَّلُ عبرَ عمليةِ الإنتاجِ والطاقةِ المحترقةِ[3] إلى سِلَعٍ استهلاكيةٍ، ثُمَّ تعودُ هذه الموارِدُ الطبيعيةُ والطاقةُ في النهايةِ إلى البيئةِ في صُورِ مُخلَّفاتٍ غيرِ مَرغوبةٍ.**

وتَظهرُ العلاقةُ القائمةُ بينَ الاقتصادِ والبيئةِ من خلالِ الشكلِ التالي:

---

[1]- http://www.awqaf.gov.jo/uploads/50.doc

[2]- فاروق محمد أبو طعيمة، عناصر البيئة في القرآن الكريم
http://amjad68.jeeran.com/archive/2008/5/499840.html

[3]-http://faculty.ksu.edu.sa/69937/lectures/envirnment1.doc

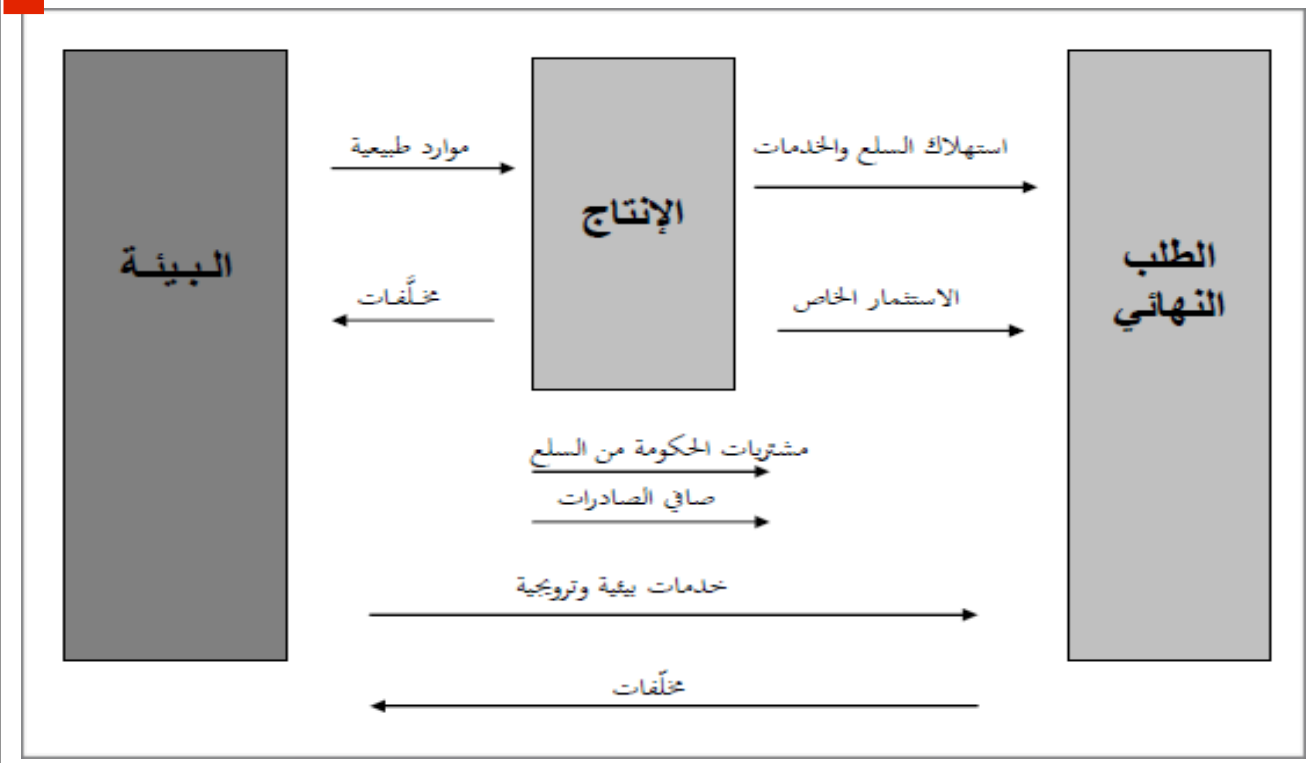


الشكل رقم ٠١ : العلاقة بين الاقتصاد والمحافظة على البيئة ومقوماتها رؤية من منظور إسلامي

فعِلْمُ الاقتصادِ البيئيِّ يهتَمُّ بثلاثةِ مواضيعَ أساسيةٍ هي :

- تحديدُ الآثارِ الاقتصاديةِ المترتِّبةِ على التدهورِ البيئيِّ .
- معرفةُ أسبابِ ومصادرِ التدهورِ البيئيِّ .
- استخدامُ الأدواتِ الاقتصاديةِ التي من شأنِها منْعُ حدوثِ التدهورِ البيئيِّ .

**المنظورُ الإسلاميُّ لعلْمِ اقتصادِ البيئةِ :**

إنّ القاعدةَ الأساسَ في الفكرِ الإسلاميِّ فيما يخصُّ البيئةَ : "لا ضَررَ ولا ضِرَارَ" ؛وعليه فإنّ العلاقةَ بين الاقتصادِ والبيئةِ هو : تسخيرُ علمِ الاقتصادِ الأخلاقيِّ بُغيةَ الاستخدامِ الشرعيِّ الرشيدِ للبيئةِ دونَ ضَرَرٍ بها، ولا بأبعادِها بُغيةَ تحقيقِ الرِّبحِ الحلالِ، وإشباعِ الحاجاتِ الضروريةِ الإنسانيةِ .

العلْمُ الذي يَقيسُ بمقاييسَ بيئيةٍ مختلفَ الجوانبِ النظريةِ والتحليليةِ والمحاسبيةِ للحياةِ الاقتصاديةِ الأخلاقيةِ الرشيدةِ في إطارِ الفقهِ الإسلاميِّ للمعاملاتِ؛ بهَدفِ ضمانِ استغلالٍ بيئيٍّ عقلانيٍّ يُحافظُ على توازناتِ البيئةِ، وبما يُحقِّقُ نُمُوّاً مُستديماً مُباحاً[1] .

[1]- الأستاذ: مسدور فارس، اقتصاد البيئة في الإسلام، باحث في الاقتصاد الإسلامي، جامعة سعد دحلب البليدة-الجزائر- PPT.

**مَقارَنةُ اقتصادِ البيئةِ في الفكرَينِ الإسلاميِّ والوضعيِّ:**

إنّ البيئةَ ومفهومَها وطريقةَ الاهتمامِ بها والأهدافَ المتوَّخاةَ مِن ذلك تختلفُ في الفكرِ الإسلاميِّ عنها في الفكرِ الوضعيِّ، ويُمكِنُ توضيحُ ذلك مِن خلالِ هذه المقارَنة:

| اقتصادُ البيئةِ في الفكرِ الوضعيِّ | اقتصادُ البيئةِ في الفكرِ الإسلاميّ |
|---|---|
| استغلال أمثل للموارد | استغلال رشيد وأخلاقي |
| استغلال دون قيود شرعية | استغلال بتقديرِ الشريعة الإسلامية. |
| الهدف تعظيم الربح | تحقيق ربحٍ حلالٍ دون ضَرَرٍ أو ضِرارٍ |
| لم يهتم بتضرُّر البيئة والمجتمع | يحافظ على البيئة والمجتمع |
| تعظيم الاستهلاك بإشباع الحاجات دون قيود | إشباع الحاجات الضرورية الحلال |

جدول ٠١ : مقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي ونظرتهما لاقتصاد البيئة

## أنواعُ البيئةِ وعناصرُها:

### أنواعُ البيئة:

**هناك مَجموعةٌ من التقسيمات:**

إنّ التقدُّمَ الذي يَعرفُه العالَم يُمكِنُ تقسيمُ البيئةِ إلى ثلاثةِ أنواعٍ مرتبطةٍ بالتقدُّمِ الذي أحدَثه الإنسانُ:

١. بيئةٍ طبيعيةٍ: تتمثَّلُ في (الهواء، الماء، والأرض).

٢. بيئةٍ اجتماعيةٍ: مجموعةِ القوانينِ والنُّظُمِ التي تَحكُمُ العلاقاتِ الداخليةَ للأفرادِ إلى جانبِ المؤسَّساتِ والهيئاتِ السياسيةِ والاجتماعية.

٣. بيئةٍ صناعيةٍ: أي تلكَ البيئةِ التي صنَعَها الإنسانُ مِن (قُرىً، ومُدُنٍ، ومَصانعَ).

وبشكلٍ آخرَ هناكَ مَن قسمَ البيئةَ إلى قِسمَينِ هما: البيئةُ الطبيعيةُ، والبيئةُ المشيَّدةُ.

البيئةُ الطبيعيَّةُ: وتتمثَّلُ في المظاهرِ التي لا دَخْلَ للإنسانِ في وُجودِها، أو استخدامِها[1]؛ مثل: (الصحراءِ، البحارِ، المناخِ، التضاريسِ..)، والبيئةُ الطبيعيةُ ذاتُ تأثيرٍ مباشرٍ، أو غيرِ مباشرٍ في حياةِ أيَّةِ جماعةٍ حيَّةٍ مِن (نباتٍ، أو حيوانٍ، أو إنسانٍ).

البيئةُ المشيَّدةُ: وهي كُلُّ ما شيَّدَهُ الإنسانُ مِن (بِناياتٍ ماديَّةٍ، أو تلكَ النُّظمِ الاجتماعيةِ والمؤسَّساتِ التي أقامَها)، ومِن ثَمَّ يُمكِنُ النظرُ إلى البيئةِ المشيَّدةِ مِن خلالِ الطريقةِ التي نَظَّمَتْ بها المجتمَعاتُ حياتَها فاستخدَمَت البيئةَ

[1]- http://www.iid-alraid.de/Arabisch/Abwab/Ecology/Eco2.htm

الطبيعيةَ لخدمةِ الحاجياتِ البشريةِ؛ كـ ( استعمالِ الأراضي للزراعةِ ) ومِن أجلِ ( التنقيبِ عن الثرواتِ الطبيعيةِ الجوفيةِ )، ومِن أجلِ( السَّكَنِ ) .

يمكنُ وَفقَ توصياتِ مؤتمرِ ستوكهولم تُقسيمُ البيئةِ إلى ثلاثةِ أنواعٍ[1] هي :

١ . البيئةُ الطبيعيةُ : وتتكوَّنُ مِن أربعةِ نُظُمٍ مُترابطةٍ بشكلٍ وثيقٍ؛ ( الغلافِ المائيّ Hydrosphère )، و( الغلافُ الجوّيِّ Atmosphère )؛ و( الغلافُ اليابسُ Lithosphère ) بما تشملُه هذه الأنظمةُ مِن ( ماءٍ، وهواءٍ، وتُربةٍ، ومعادنَ، ومصادرَ للطاقةِ ) بالإضافةِ إلى النباتاتِ والحيواناتِ، هذه الموارِدُ التي أتاحَها اللهُ سبحانَه وتعالى للإنسانِ؛ ليَحصلَ مِن خلالِها على مُقوِّماتِ حياتِه الأساسيَّةِ .

٢ . البيئةُ البيولوجيّةُ : وتشملُ الإنسانَ الفردَ وأسرتَه ومجتمَعه، وكذلك الكائناتِ الحيَّةَ في المحيطِ الحيويِّ، وتُعتبَرُ البيئةُ البيولوجيةُ جُزءاً مِن البيئةِ الطبيعيةِ .

٣ . البيئةُ الاجتماعيةُ : ويُقصَدُ بها ذلك الإطارُ مِن العلاقاتِ الذي يُحدِّدُ ماهيَّةَ علاقةِ حياةِ الإنسانِ مع غيرِه؛ ذلك الإطارُ مِن العلاقاتِ الذي هو الأساسُ في تنظيمِ أيِّ جماعةٍ مِن الجماعاتِ؛ سواءٌ بينَ أفرادِها ( بعضِهم مع بعضٍ ) في بيئةٍ ما، أو بينَ جماعاتٍ ( مُتباينةٍ أو مُتشابهةٍ معاً )، وحضارةٍ في بيئاتٍ مُتباعدةٍ، وتؤلِّفُ أنماطُ تلكَ العلاقاتِ ما يُعرَفُ بالنُّظُمِ الاجتماعيةِ، واستحداثِ الإنسانِ خلالَ رحلةِ حياتِه الطويلةِ بيئةً حضاريةً تُساعدُه في حياتِه[2] .

**عناصرُ البيئةِ** : تتمثَّلُ عناصرُ البيئةِ في :

- عناصرَ حيَّةٍ : تتكوَّنُ مِن عناصرِ الإنتاجِ؛ مثلِ( النباتِ )، عناصرِ الاستهلاكِ مثلِ ( الإنسانِ والحيوانِ )، عناصرِ التحليلِ مثلِ ( الفطرياتِ، البكتيريا ) إلى جانبِ بعضِ الحشراتِ .
- عناصرَ غيرِ حيَّةٍ : مثلِ ( الماءِ، والهواءِ، والشمسِ . . ) .
- الحياةُ والأنشطةُ التي يتمُّ ممارستُها في نطاقِ البيئةِ .

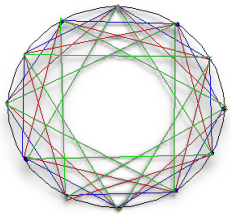

[1]- ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ط1، 1995 ص 31.
[2]- مهدي أمين، مبادئ الجغرافيا المناخية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، 1993م، ص 20.